إن ما يجب النظر فيه منذ البداية في أي بحث علمي، هو تحديد مصطلحاته حتى تتبيّن المفاهيم، وتتميّز الحقائق، وتتجلّى الحدود المعرفية المحصلة، ومن هنـــا اخترت البدء بتحديد مفاهيم المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

1- المدلول اللغوي لكلمة خطاب:

وجد في المعاجم العربية أن مادة «خطب» ومشتقاتها تحيل على عـــدة معان منها:

1- الشأن أو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة سواء صغُر الأمر أو عَظُم، فيقال: خَطْبٌ، وخُطُوبٌ، وقيل: هو سبب الأمر؟ يقال: ما خَطْبُـــكَ؟ أي مـــا أمْرك، ونقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير[1].

2- المواجهة بالكلام[2]، أو مراجعة الكلام[3] وهما الخطاب والمخاطبة.

3- و«المخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة»[4] والخطب اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر.

4- ورجل خطيب، حسن الخطبة، وجمع الخطيب خُطباء، وخَطُبَ بالـــضم، خَطَابة بالفتح صار خطيباً[5].

وفي حديث الحجاج: أمن أهل المحاشد والمخاطـــب، أراد بالمخاطـــب الخطب على غير قياس، كالمشابه، والملامح، وقيل هو جمع مخطبة، والمخطبـــة

1)- ينظر: القاموس، والأساس واللسان، مادة (خطب).

2)- أساس البلاغة، محمود الزمخشري، دار صادر، 1979، مادة (خطب).

3)- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، مادّة (خطب).

4)- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن منظور، دار بيروت للطباعة والنشر، مادة (خطب).

5)- المرجع نفسه، ص: 361.

أو المخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة؛ أراد أنت من الذين يخطبون الناس ويحثونهم على الخروج والاجتماع للفتن[1].

وفي كتاب التهذيب للأزهري (ج.7)؛ قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾[2]؛ قال: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين، وقيل: معناه

أن يفصل بين الحقّ والباطل، ويميّز بين الحكم وضدّه، وقيل: فصل الخطاب: «أمّا بَعدُ»، وقيل: فصل الخطاب: «الفقه في القضاء»[3].

ولقد حاول ابن وهب أن يبلور معنى القول أنّ الخطبة اسم الكلام، ورجل خطيب إذ ربط بينهما ربطا سببيّا في اتجاه الارتفاع بالمعنى إلى مستوى الإصطلاح، فقال: «إن الخطابة مأخوذة من خَطَبْتُ، أخْطُب، خَطَابة... واشتق ذلك من الخطْب وهو الأمر الجليل، لأنه إنّما يقام بالخطب في الأمور التي تجلّ، والاسم منها خَاطِب مثل راحم، فإذا جعل وصف لازما قيل خطيب، والخطبة الواحدة من المصدر... والخطبة الكلام المخطوب به»[4].

ومن الخطب والمخاطبة اشتقا الخطاب والخطابة لأنهما مسموعان؛ لذا عرفت الخطابة بأنها مشاركة في فعل ذي شأن، إذ المفاعلة تفيد الاشتراك.

والخطب حسب قول صاحب الصناعتين: «تستعمل في إصلاح ذات البين وإطفاء نار الحرب، وحمالة الدماء، والتّشييد للملك، والتأكيد للعهد،

1)- لسان العرب، ص: 361.

2)- سورة ص، الآية: 20.

3)- المرجع نفسه ص: 361.

4)- البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن إبراهيم ابن وهب، تحقيق: خفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، 1969 ص: 151-153.

وفي عقد الإملاك، وفي الدعاء إلى الله، وفي الإشادة بالمناقب، ولكل ما أريـد ذكره ونشره وشهرته في الناس»[1].

ويذهب أبو إسحاق إلى أنّ الخطبة عند العرب هي: «الكـلام المنثـور المسموع»[2]، وفي كتاب التهذيب: «الخطبة مثل الرسالة لها أوّل وآخر»[3]؛ ويبدو جليّا أنّ هذا التعريف يشير إلى الأسلوب وتنظيم القول، وهما عنصران بنائيان في الخطابة عند أرسطو إلى جانب الاحتجاج والبراهين.

وفي تمييزه للخُطب والرسائل عن الشعر يقول أبو هلال العسكري: «واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنّهما لا يلحقهما وزن ولا تقفية»[4]، هـذا عن المعنى اللّغوي للخطاب والخَطابة، حسب بعض المعاجم العربية.

2- فما المدلول الاصطلاحي للخطاب؟

لقد تحدّد هذا المدلول بتحدّد التخصصات، وتميّزت الاتجاهات التي تهتم بالخطاب، خاصة الأدبي منه؛ لذا فإن جذور مصطلح الخطـاب تعـود إلى عنصري اللّغة والكلام[5].

أ- فاللّغة نظام من الرموز يستعملها كل فرد للتعبير عن أغراضه، حيث تكون هذه الرموز إمّا على شكل أصوات تنطق، أو حروف تكتب.

---

1)- كتاب، الصناعتين، (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، ترجمة: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، 1981، ص: 154.

2)- لسان العرب، ص: 361، مادة (خطب).

3)- المرجع نفسه، ص: 362.

4)- الصناعتين، ص: 154.

5)- دروس في الألسنة العامة، فيردينان دي سوسير، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1985، ص: 27.

ب- أمّا الكلام فهو إنجاز لغوي فردي يتوجه به المتكلم إلى شـــخص آخر يدعى المخاطب أو المرسل إليه.

ومن هنا تولّد مصطلح «خطاب» بعده رسالة لغوية يُبثها المـــتكلم إلى المتلقي، فيستقبلها هذا الأخير ويفك رموزها[1].

وفي تحديد آخر لمفهوم كلمة «خطاب» يرى كمال عمران أن الخطاب يعتبر من أبرز الظواهر التي تحرر طرق الاتصال وتضبط بنية التغيير، وتنحـــت الأهداف المنشودة[2].

ويحظى الخطاب في اللّغات الغربية بقدر كبير من العناية؛ لأنـــه يخـــرج الدراسة من الانطباع إلى التفكيك، ومن وصف أداة الاتصال إلى النبش عما يحيط بها من مشكلات.

وبناءاً على هذه العناية «بالخطاب» توسعت مجالاته فعرف عند كلّ من:

- «مايك بال» (Mike Ball) و«أنجلية» (Angelet) والناقد المغـــربي السعيد علوش -عرف- توجيهين:

أ- التوجه الأوّل: وتطبق عليه السيميائيات السردية، ومن أهم ممثليـــه «فلاديميربروب» و«كلوديريمون» و«غريماس»، حيث يعتمد هذا التوجه علـــى سردية القصّة في أي عمل حكائي مهما كانت الأدلة التي يتوسل بها في عمليـــة التواصل، لأنّ الأحداث التي يتم إخبارنا بها يمكن أن تترجم عبر وسائط مختلفة.

1)- النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، جان لوي كابنس، دار الفكر، سوريا، 1982، ص:94.

2)- في تحديد مفهوم الخطاب، د.كمال عمران، المجلة العربية للثقافة مجلة نصف سنوية (مارس-سبتمبر)، العدد 28، 1995، ص: 62.

يقول ابن الهيثم: «إن الحق واحد، وإن الاختلاف هو من جهة السلوك إليه»[1]، فالمسالك تتعدّد لبلوغ هدف واحد، لذا يجب التركيز على المضامين السردية وكذا على الكليات الدالة التي تتجاوز المجموعات اللسانية.

ب- التوجه الثاني: يركز دارسو هذا التوجه علـى دراسـة الخطـاب كصيغة لفظية لتشخيص القص أو الحكي (Le récit)، وإبراز العلاقات الـتي تنظم المستويات الثلاث: الخطاب- القص- السرد؛ بحيث يكـون الخطـاب مجالاً متميزا يمارس فيه المتكلم عملية التلفظ (النطق) على أن يكـون هـذا التلفظ قابلا للتحليل والتفكيك.

وعلى الرغم من اتساع مجال السرديات وتعقّـدها، وتطـور منـاهج دراستها، فإنّ هناك من يصرّ على التوفيق بين التوجهين أمثال: «تـشاتمان» (Chatiman) و«جيرالد برينس» (Gerald Prince)، وذلـك مـن أجـل القضاء على كل الالتباسات التي لا تزال تكتنف هذا الميدان[2].

وممّن أسهم بشكل واضح في هذا التوجّه -الشكلانيون الروس- بزعامة «توماشفيكسي» الذي ميّز بين المتن الحكائي (Fable)، والمـبنى الحكـائي (Sujet)؛ إذ يمثل المتن مجموع الأهداف والحوافز، بينما يمثل المبنى البحث عن الأنساق والوظائف، أي الخطاب، خاصة عند «تودوروف» (Todorov).

1)- نقلا عن مقال: عن الضوابط اللغوية لتوجيه الخطاب العلمي، أ.د.سيدي محمد غيتري، الملتقى الدولي الأوّل، جامعة البليدة، ماي 2000، ص3.

2)- مقال في قراءة التحليل السردي للخطاب، الطاهر روابنية، مجلة التواصل، جامعة عنابة، العدد 04، جوان 1996، ص: 8

أمّا ضوابط القص وميكانيزماته فإنها تعدّ بمثابة السّنن أو العلامات الـتي تتيح إمكانية فك رموز الخطاب، لذا فإنّ «إيخنباوم» يتحدّث عـن وظيفـة الحكي التي عدّ أنها تشير إلى العلاقة التي تنشأ بين المرسل والمرسل إليه.

وبهذا؛ يكون الشكلانيون الروس قد أولو عناية كبيرة لدراسة الخطـاب خاصة «إيخنباوم» في دراسته الموسـومة «معطـف غوغـول» -وكنتيجـة لسيميائيات السرد، تأتي دراسة- «بروب» لموروفولوجية الخرافة أو الحكاية ثمرة لتطوّر التحليل السردي للخطاب، واتساع مجاله ليشمل كل أنواع الحكي[1].

ومعلوم أنّ وظيفة كل راوٍ أو متكلم تختلف من حكاية أو قول إلى آخـر، ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى، حيث يحدّدها في كل مرّة مدى تبلـور العلاقـة الجدلية بين وظيفة الإرسال والتلقي.

ولهذا يصرّ «غريماس» على أهمية التواصل بتتبّعه مسارات المرسل عـبر السياق، مفرقا بين المرسل، والمرسل إليه؛ مشبها عمل الذات المرسلة بتحريات الشرطي وعمل العالم، وبحث المؤمّن[2].

أما «بنفينيست» (Benveniste) فإنه يذهب في تعريفه للخطاب على أنّه «كلّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجودَ راوٍ ومستمع، وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما»[3].

على أن نية التأثير هذه؛ هي القصدية التي تلمح دوماً إلى الإقناع، هـذا الإقناع الذي لا يتم إلاّ إذا كانت حافظة المستمع مخزنة لما في حافظة المتكلم.

---

1)- مقال في قراءة التحليل السردي للخطاب، ص: 10.

2)- مقال السيميائيات السردية للخطاب، «غريماس»، مجلة التواصل، ص: 18.

3)- اللّغة والخطاب الأدبي، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992، ص48.

هذا، دون أن ننسى أن كل خطاب يعتمد اللغة التي هي وسيلة للاتـــصال والتواصل؛ وأنّ كل لغة تمتلك عدداً من العناصر التي تهتم بإخبارنا عن موضوع الفعل الكلامي، وعناصره الأخرى التي تتسبّب في تحويل اللّغة إلى خطاب.

وإلى جانب هذا، فإن اللغة هي أيضا مادة كلّ فـــنّ وفقـــا لمـــستوى المنطوق، أو الفعل الكلامي الذي يظهر؛ لأن الخطاب يرتبط أساسا بقـــرائن لغوية معينة؛ وبهذا يأتي مفهوم الخطاب كأداة تحليل بنوي وعلامـــي ودلالي للأثر الأدبي، باعتباره بناءا مستقلاً من جهة، وفي علاقته بقائله وبالخطابـــات السابقة وكذلك السائدة من جهة أخرى[1].

ولذلك يسمح الخطاب بدراسة التراث، ويمكن تحليله من جهتين؛ أولا من جهة العلاقة الجدلية التي ترتبط المبدع بالمتلقي، وثاني من جهة الارتبـــاط هذا الخطاب بخطابات أخرى.

هذا عن السيميائيات السردية للخطاب، فماذا عن أصحاب المدرســـة التوزيعية؟

يعرّف «هاريس» (Harris) الخطاب على أنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة مـــن العناصـــر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظلّ في مجال لسانٍ محضٍ[2].

ويبدو أن «هاريس» من خلال كلامه هذا، يودّ أن يطبّـــق مفهومـــه وتصوره التوزيعي للخطاب، على أنه عبارة عن متتاليات يلتقي بعضها بعضا

1)- مقال السيميائية والنص الأدبي للأستاذ عد الحميد بورايو، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة 1995، ص: 82.

2)- L'information et la communication, Roget escaprit. Hachette. Sl. 3ed. 1991. P:22.

بطريقة منتظمة تكشف عن بنية النص، هذا الانتظام الذي يطلق عليه اسـم «تعادل متكافئ التوزيع» (Equivalence) منطلقا في اعتقاده هذا من اعتبار الجملة أكبر وحدة دالة قابلة للوصف النحوي.

أمّا أصحاب معجم اللسانيات[1] (1973) فقد أوردوا للخطاب ثلاثـة تعاريف هي كالآتي:

1- الخطاب يعني اللغة في طول العمل أو اللسان الذي تتكلف بانجازه ذات معينة، وهو هنا مرادف للكلام (Parole) بتحديد «دي سوسير» (De Saussure).

2- الخطاب يعني وحدة توازي الجملة أو ما فوق الجملة، وتتكون من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية، وهو هنا مرادف للملفوظ (Enoncée).

3- استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدّى الجملة منظوراً إليه مـن وجهـة قواعد تسلسل متتاليات الجمل، أي الخطاب ملفوظ أكبر مـن الجملـة (Enoncée Supérieure à la Phrase)، ويمكن تفصيل هذه التعاريف كما يلي:

2-1 الخطاب- الكلام:

يعرّف دي سوسور الكلام بأنه ذو نزعة فردية، إرادي وذكي كذلك[2]، والكلام حسب هذا التحديد مستقل عن مؤسسة الجماعة، وهو من ثمّ مفـرغ كليا من سلطتها، وقابل بخصوبة كبيرة للتحرّر والانبعاث المتجدّد الذي يمكن

1)- Dictionnaire de linguistique (discours Texte)- Jean Dubois et autres, La rousse, Paris, 1973, P:57.

2)- دروس في الألسنية العامة، ص42.

تمثله في ولادة اللغة الجديدة كالإبداع مثلا[1].

وإلى جانب كون الكلام نشاطا فرديا؛ فإنه «ينفتح على فاعلية الإلقـــاء المستمر التي يشكلها دافع الإرادة والذكاء»[2]. هذا الدافع الذي ينبعث مـــن عملية نقل الرسالة، وأين تتم عملية توجيه الكلام، التي تكتسب فيمـــا بعـــد الصبغة التخاطبية حيث يوجه المخاطب رسالة إلى المخاطب (المرسل إليه).

وعلى هذا النحو تمّ تعريف الخطاب في الأغلب الأعم، ومن هنـــا يمكـــن «وضع الكلام على قدم المساواة مع الخطاب، فهو تكلّم وتلقّ في آن واحد»[3].

أما «فرانسوا راستيه» (François Rastier) صاحب كتاب «من أجـــل تحليل الخطاب» فقد دعا إلى أنه ينبغي في تحليل الخطاب أنه يحـــدّد موضـــوعه بسبب ارتباطه الوثيق باللسانيات التي حدّدت موضوعها ونجحت كعلم مؤسس.

وعلى ذلك الأساس اقترح فرانسوا ثلاث استراتيجيات ممكنة من بينها، اعتبار الخطاب مرتبطا بالكلام.

واعتمادا على المفهوم السوسيري للخطاب كونه اللغة التي هي في طـــور العمل أو اللسان الذي تتكلف بانجازه ذات معيّنة ميّز «دومينيـــك مـــانقينوا» (Dominique Maigueneau) بين اللغة والكلام وتبين له إثر ذلك، أنّ الجملة

1)- مقولة التوازي وشعرية الإلقاء، هواري غزالي، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2000، ص: 95.

2)- في معرفة النص (دراسات في النقد الأدبي)، حكمت صباغ دار الآفاق للنشر، بيروت- ط3- 1985- ص: 31.

3)- القول الشعري، د.يمني العيد، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987، ص: 10-11.

لا تدخل في إطار اللسان ولكنها تنتهي إلى الكلام موئِل الفعالية والذكاء[1].

وإذا كان دي سوسير يرى أن اللغة «كتر موضوع من خـــلال تطبيـــق الكلام»[2] فإن سعيد يقطين يعتبر أنّ «اللسان ككل منتـــهٍ وثابـــت العناصـــر نسبيّاً»[3] أي أنّه يمثل كيانا منغلقا لا يسمح بالتفتح إلاّ لما تنتجه آليات الخطاب.

وبناء على هذه المفاهيم اللسانية فقد وقع خلط كبير في تحديد مفهـــوم الخطاب، ممّا أدّى إلى نشوء علاقة جدلية بين النص والخطاب تبعـــا للعلاقـــة نفسها بين اللغة والكلام.

2–2 الخطاب– التلفّظ:

يعدّ «بنفينيست» أكبر مدرسة نظرت لمفهوم الخطاب، هذه المدرسة التي غيرت جميع آليات الدراسة اللسانية، وذلك بانطلاقها من إلغاء الجملة كـــأعلى مستوى للدراسة اللسانية، مما أحدث قطيعة مع أعمال «هاريس» و«بلومفيلد» الّذين شكلا مرحلة من مراحل اللسانية التقليدية.

ولقد حدّد «بنفنيست» ماهية الخطاب على أنّه «كل تلفـــظ يفتـــرض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما»[4].

---

1)– تحليل الخطاب الروائي، عيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص: 21.

2)– Théorie du langage, J P Brancard, 2ème édition, Bruxelles, 1977, P103.

3)– تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ص22–23.

4)– Problèmes de linguistique générale, Emille Benveniste, édition Gallimard, Tome I, 1966, P: 129-130.

أمّا الجملة فهي عنده «إبداع ليس له تعريف، وتنوع بـــدون حـــدود، وهي الحياة نفسها للغة في أثناء الفعل»[1] معارضا بـــذلك أبي اللـــسانيات الأمريكية «بلومفيلد» الذي يحصر النحو عند حدود الجملة؛ كون الوحـــدة اللسانية الكبرى تتمثل في الجملة.

ويؤدي بنا تعريف «بنفنيست» إلى الافتراض أنّ «تلفظ الخطاب يستلهم مادته من الأداء الشفاهي للكلام بكل تنوعاته المختلفة، ابتداءاً من المخاطبـــة اليومية إلى الخطبة الأكثر صنعة وزخرفة إلى الإنشاء الأكثـــر شـــعرية مـــن حيث الأداء[2].

ولكن هذا الافتراض لا يعني أبدا إلغاء الخطابات الكتابية لأننا مـــدينون للكتابة بقدر كبير، فلولاها ما أمكننا الإطلاع على ثقافات الغير سواء القديمة أو الحديثة.

وإذا كان بنفنيست قد حدد ماهية الخطاب، فإنه لم يضع له حـــدوده الخاصة، وإنّما تحدّث عنه بكونه ذلك الفعل الحيوي لإنتـــاج ملفـــوظ مـــا، بواسطة متكلم معيّن في مقام معيّن، باعتبار أنّ هذا الملفوظ يمثل آلية اشتغالية داخل التواصل.

ولعلّ نظرة بنفنيست هذه تقترب من نظرة المدرسة الفرنـــسية للخطـــاب، خصوصاً مع اللساني «قيسبن» (L.Guespin) الذي فصل بين الملفوظ والخطاب.

---

1)- Initiation aux Méthodes de l'analyse du discours (problèmes et perspectives) Dominique maingueneau, ed-Hachette niversité, 1967, P: 154.

2)- مقولة التوازي وشعرية الإلقاء، ص97.

وفي فصله هذا؛ يرى «قيسبن» أنّ «الملفوظ متتالية من الجمل الموضوعة بين بياضين دلاليين، أمّا الخطاب فهو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر حركية خطابية مشروط بها، وهكذا فنظرة تلقى على نصّ تُبَنْيِنُه لغويا تجعل منه ملفوظا، وأنّ دراسة لسانية لشروط هذا النص تجعل منه خطاباً»[1].

فإنتاج الخطاب إذاً، قائم أساسا على حركية خطابية متجلية في الملفوظ.

2-3 الخطاب ملفوظ أكبر من الجملة:

لقد انتصر «رولاند بارث» (Roland Barthes) لهذا التحديد، وهو التحديد الثالث حسب معجم اللسانيات، حيث اتخذه مرتكزا لتحليله البنوي؛ فمن جهة نظر القواعد، يمثل الخطاب سلسلة من الجمل، ومن جهة نظر التحليل اللساني الخطاب مرادف للملفوظ، ومن أجل هذا تسعى اللسانيات لمعالجة الملفوظات المتجمعة، ودراسة مسارها عندما تحدّد قواعد الخطاب وقوانينها، وتصفه وصفا معقولا وقابلا للملاحظة والتأمل باعتباره سلسة متتالية من الجمل.

ومتصورات الخطاب حسب التحديدات الثلاثة تقترب من مفهوم النص، إن لم تكن مرادفة له، وفي الوقت ذاته متعارضة معه، فالنص في المعجم اللساني مدوّنة تتألّف من مجموعة من الملفوظات اللغوية الخاضعة للتحليل سواء كانت شفهية أو خطيّة.

ومن هذا المنظور يصبح الخطاب ضمن الممارسات اللسانية أداة للمعرفة، ولهذا المعنى يتحول إلى نص، حتى أن الكثير من اللغات لا يفرّق بين النص والخطاب.

1)- تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ص22.

فالنص عند «هلمسليف» (Louis Hjelmslev) بالمفهوم الواسع يعـــني كل مادّة لسانية مدروسة، وكلا المفهومين (النص والخطاب) لدى «غريماس» «وكورتيس» (Greimas et courtes) يشكلان فرضية خصبة، اســتعملت للدلالة على عمليات سميائية (procès sémiotiques) غير لسانية[1].

وفي الممارسة الفكرية يشير الخطاب إلى الأطــر المرجعيــة للــسانيات «فوكو-لاكان» (Foucault Lacan) ثم إنّه يلتبس أحيانا بمفهوم الرســالة (Message) عند «جاكبسون» (Jakobson).

وإذا كانت المتصورات السابقة للخطاب قد حصرته في زوايا ضيقة حينما ربطته بالجملة، فإن البلاغة القديمة سعت جاهدة إلى بناء أنظمته وقواعده، كما أنّ الأسلوبية التعبيرية وظفت معطيات ألسنية مثل الملفوظ والتلفّظ كما هو الحال لــ«شارل بالي» (Charles Bally) تلميذ «دي سوسير».

وهكذا، فإن مفهوم النص في تصوّر «تودوروف» يكمن في فقــرة أو وحدة من النمط الخطّي الذي تكوّنه مجموعة من الجمل...»[2].

وعلى هذا الأساس، فالنص يكون جملة جملة، كما قد يكــون كتابــا بكامله، إنّه يتحدّد باستقلاليته، وانغلاقه، إنّه نظام ثاني إيحائي، وهو ثــانوي بالنسبة لنظام آخر من الدلالة، وله مظاهر منها، المظهر الفعلي، والتــركيبي الدلالي، والبلاغي والسردي والموضوعاتي،... كل ذلك يتقاطع مع النظريــة التوزيعية ولسانيات «هاريس» وتلامذته فيما يخصّ تحليل الخطاب.

---

1)- مقال: بين النص والخطاب، الأستاذ أحمد يوسف، مجلة تجليات الحداثة، جامعة وهران، العدد 1، 1992، ص: 51.

2)- مقال :بين النص والخطاب، أحمد يوسف، ص: 52.

وإلى جانب هذا التحديد، يضيف «تودوروف» ثلاثة أنظمة تـتلخّص في النظام المنطقي، والنظام الزمني، والنظام المكاني، وهكذا يبتعد مفهوم النص عن مفهوم الخطاب ليكون أشمل منه[1].

ويصبّ في هذا الاتجاه كثير من الآراء؛ فالنص بنية من القيم عند «رينيه ويلك» (R.Wellek)، وعلامة عند أصحاب نظرية التلقي، ووحدة مستقلة قائمة بذاتها، بعيدة عن إدراك القارئ (شلوفيسكي والشكلانية الروسـية)، وعرض دال عند أصحاب مدرسة النقد الجديد[2].

كل هذا، يفضي بنا إلى صعوبة تحديد ماهية النص والخطاب ممّا يفضي كذلك إلى صعوبة إيجاد حدود علمية موضوعية بين هذين المفهومين (النص/ الخطاب).

ونلفي بين التصور اللساني للخطاب وبين تصوّر «رولاند بارث» مسافات بعيدة هي أقرب إلى التنظير الجمالي منها إلى التقعيد اللغوي، ولعلّ هذا ما جعله يتداخل مع استعمالات الخطاب في أدبيات «فوكولاكان» وغيره مـن الـذين يشتغلون في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية، وإن كان «بارث» لا يرى في النص إلاّ فضاءً اجتماعيا له وشائج قوية مع الممارسات الفعلية للكتابة[3].

وبعد هذا، يبدو من العبث البحث عن فوارق أو أوجه التقارب بـين النص والخطاب؛ فمفهوم الخطاب احتضنته علوم لسانية وقعّدت له، فـصار حقلاً من حقولها، ولّما تلقّفه المعجم النقدي للعلوم الإنـسانية انـزاح عـن

1)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
2)- مقال: بين النص والخطاب، أحمد يوسف، ص: 52.
3)- المرجع نفسه، ص: 55.

خصوصياته للسانية، فعرف توسّعاً في الاستعمال وإن حرص بعض الدارسين في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية على الاحتفـــاظ بجـــوهر مرجعيتـــه اللسانية[1].لذا يجب التريّث في استعمال هذه المفاهيم، وتحديد مواقعهـــا في المعجم النقدي، لأنه قد يصبح خلطا لا جدوى منه.

ومن جهة سيكو- لسانية يعرّف «جان كارون» (J.Caron) الخطاب بأنه متتالية منسجمة من الملفوظات[2].

ومعنى هذا أن الخطاب يفترض علاقات بين مجموعة من الملفوظات التي لا يجب أن تكون مبنية مسبقا، وإنّما يجب الربط بينها.

ومجال الحديث عن الخطاب واسع جدا، لذا لا يمكـــن حـــصر كـــل التعاريف التي وردت للاصطلاح على مفهومه. وبعد هذا، كـــان لابـــدّ أن أتطرّق إلى مفهوم الإقناع باعتباره المصطلح الثاني في عنوان البحث، ولكنّـــي ارتأيت أن أؤجل الحديث عنه؛ لأني سأتعرض لدراسته بإســـهاب في فـــصل «الخطاب الإقناعي -وسائله ومجالاته-» وحتى أتفادى التكرار ســـأنتقل إلى مدلول التواصل لغة واصطلاحاً.

3- التواصل اللغوي:

كثيرا ما نصادف في قراءتنا اللسانية المعاصرة، عدّة كلمات متباينـــة في دوالها، في الوقت الذي لا يعني بها أصحابها إلاّ مفهوماً واحدًا[3]، ومن بـــين

1)- مقال: بين النص والخطاب، أحمد يوسف، ص: 57.

2)- مقال تحليل الخطاب الروائي، بشبر براير، ص: 23.

3)- اللغة العربية والاتصال، الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض، أعمال الموسم الثقافي، مدونة المحاضرات الملقاة عام، 2000، ص:51.

هذه الكلمات ما يتعلّق بمجال بحثنا، وهي كـــالآتي: الاتـــصال، التواصـــل، التوصيل، التبليغ، الإبلاغ، التخاطب، المخاطبة.

3–1 التواصل في بعض المعاجم العربية:

إنّ مادة «وصل» في لغتنا العربية ثرية بمفرداتها وترادفاتها، غزيرة المباني، متعدّدة المعاني، إذ تحيل في بعض معاجم اللغة العربيـــة كمعجـــم الـــصحاح للجوهري: على معنى «اتصل»؛ إذا دعا بدعوى الجاهلية كأن يقـــول: يـــا لفلان، وقد قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾، أي يتّصلون[1].

والوصل ضدّ الهجران، ووصل الثوب والخـــفّ، وبينـــهما وصـــلة أي اتّصال، وتواصل ضدّ التصادم، ومن هذا المعنى جـــاء الحـــديث: «لعـــن الله الواصلة والمستوصلة»[2].

فالتواصل هنا ضد التقاطع، غير أن الاتّصال أعمّ مـــن التواصـــل، لأنّ التواصل من التفاعل، والتفاعل في اللغة العربية لها ثلاثة معان[3]:

1– أن تكون من اثنين تخاصما: تقاتلا، تشاركا...

2– أن تكون أحيانا من واحد: ترائ له، تمارى في ذلك، تعاطى منـــه أمـــر قبيح.

1)– الصحاح للجوهري، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984، ج1842/5.

2)– المرجع نفسه، ص: 1842–1843.

3)– الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: د.الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1963، ص: 222– 223.

3- أن تكون إظهاراً بغير ما تدلّ عليه حقيقة الشيء: تغافل؛ أي أظهر غفلةً وليس بغافل، أو كما يقول سيبويه: «ليُريك أنّه في حال ليس فيها»[1].

وجاء في المصباح المنير للفيومي: «تعهّـدت الـشيء، تـردّدت إليـه وأصلحته، وحقيقته تجديد العهد به، وتعهّدته حفظته؛ قال: ابن فـارس: ولا يقال تعاهدته؛ لأنّ التفاعل لا يكون إلاّ من اثنين. وقال الفـارابي: تعهّدتـه أفصح من تعاهدته»[2].

ويكون سيبويه واضحا حينما قال: «وأمّا تفاعلت فلا يكون إلاّ وأنت تريد فعل اثنين فصاعداً، ولا يجوز أن يكون معملا في مفعول، ولا يتعـدّى الفعل إلى منصوب»[3]، مضيفا إلى قوله هذا أنّ تفاعل يلفظ بالمعنى في فاعلته، ويقصد أنّ فاعل مثلها مثل تفاعل كلتاهما تدلّ على تشارك اثنين في أمر»[4].

لذا يقول: «اعلم أنّك إذا قلت: فاعلته فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته؛ ومثل ذلك: ضاربته، وفارقته، وكارمته»[5].

وبعد هذه المقاربات اللغوية لمادّة (وصل) وبعض مشتقاتها الدلالية نخلص إلى أنّ الاتصال أكثر عموما من التواصل، والتواصل وحتى المواصـلة[6]، وأنّ التواصل لا يكون إلاّ من اثنين فصاعداً؛ لأنه يدل على التفاعل والتشارك.

---

1)- الكتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة المصرية، د.ت، ج68/4.

2)- المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت، ص: 435.

3)- الكتاب، سيبويه، ص: 69.

4)- اللغة العربية والاتصال، الأستاذ عبد الجليل مرتاض، ص: 53.

5)- الكتاب، ص: 68.

6)- اللغة العربية والاتصال، ص54.

هذا عن المدلول اللغوي لمادّة (وصل) في بعض المعاجم العربية القديمة، فماذا عن التواصل في معجم المصطلحات اللغوية، وبعض المعاجم الغربية الأخرى.

3-2 التواصل في معجم المصلحات اللغوية:

وُجدَ في هذا المعجم لصاحبه خليل أحمد خليل مـا يلـي[1]: تواصـل (Communication): بمعنى: إبلاغ، اتصال، تخاطب، مخاطبـة؛ توصـيل، أساس التواصل استعمال راموز (Code) لنقل رسالة:

1- التواصل اللغوي: يدل على تبادل في الإشارات بين فرد وآخر، بين فـرد وجماعة وبالعكس، وبين جماعة وأخرى. فيما الحيوانات التي لا تملك لغة بالمعنى الحقيقي، تتواصل من خلال الإيماءات والصراخات الـتي تـوفّر دلالات دقيقة.

2- اللغة البشرية: هي حامل مميّز للاتصال، حيث يرتبط التواصـل بـالتعبير الذي يعني انتقال المضمون التعبيري من فاعل إلى قابل (هو فاعل آخر في قبوله المرسلة).

3- في مستوى تجربـة التخاطـب بـين الأنـا والآخـر (Expérience Intersubjective): تقوم علاقة مقلوبة بين الطرفين:

أ- كلما كان التعبير جديداً؛ كان التواصل عشوائيا.

ب- كلما كان التعبير عاميا، كان التواصل سهلاً.

1)- معجم المصطلحات اللغوية، د.خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط5، 1995، ص: 55.

4- يستلزم تحليل الاتصالات داخل الجماعة مجمل التخاطبـــات إلى وحـــدات اتّصال مرسلة من فرد إلى آخر ومنه إلى الجماعة برمّتـــها، وفي درس آثـــار التواصل، لابدّ من التنبيه إلى مـــؤثرات الإعـــلان (Publicité) والدعايـــة (Propagande) والتحقق من فعالية منطقهما وحججهما.

5- يجرى التفريق بين تركيبتين اتصاليتين متعاكستين:

أ- تركيبة متناسقة: يقوم كل فرد بإبلاغ معلوماته إلى الجميع، ويسعى كل واحد منهم إلى إيجاد الحلّ.

ب- تركيبة متمركزة: يرسل الأفراد معلوماتهم إلى أحدهم، فيمركزها، يكتشف حلّها، ويبلغه إلى سواه (**تبلّغ ↔ تبليغ**)[1].

3-3 التواصل في معجم اللسانيات:

يواجه كل باحث صعوبة كبيرة في تحديد بعض المفاهيم اللغوية المرتبطة بأي مصطلح؛ لذا لا يمكن العثور على تعريف واحد للتواصل يـــضم كـــل رضاءات الباحثين؛ غير أننا نجد أنّ معجم اللّسانيات الذي أشـــرف عليـــه «ج.ديبوا» (Jean Dubois) يعرّف التواصل كالآتي[2]:

1- التواصل (La communication): تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجّها نحو متكلّم آخـــر (Interlocuteur) يرغـــب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية (Explicite ou implicite) وذلك تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم (Le sujet parlant).

1)- معجم المصطلحات اللغوية، خليل أحمد خليل، ص: 55- 56.

2)- Les voies du langages, Bordas, Paris, Dunod, 1982, P. 2-6.

2- التواصل: حدث نبإٍ ينقل من نقطة إلى أخرى، ونقل هذا النبإ يكون بواسطة مرسلة استقبلت عدداً من الأشكال المفكوكة (Qui a été codé).

ولكن بعض الدارسين يرى بأنّ هذا التعريف يعمّم بين ما يتّصل باللّغة، وبين ما ليس له صلة بها من معلومات تستخدم في مجال اتـــصالات أخـــرى غير لغوية.

3-4 التواصل في معجم (A.Moles Démoèl):

التواصل في هذا المعجم هو «عملية جعل فرد أو مجموعة متموضـــعة في عنصر من نقطة -س- يشارك في التجارب التي ينشطها محيط فرد آخر متوقع في عهد آخر وفي نقطة -ص- من مكان آخر، مستعملا عناصـــر المعرفـــة المشتركة بينهما والتجربة الوكيلية»[1].

3-5 التواصل في معجم تعلّم اللغات:

وُجد في هذا المعجـــم أنّ «نظريـــة المعلوماتيـــة» (La théorie de la communication) تحول الإعلام أو تنقله بين باث ومتلق؛ وذلك بفـــضل مرسلة تمرّ عبر قناة، مثل الإعلام عن طريق التلفون؛ حيث الباث أو المـــتكلم سيرسل إلى مستقبله أو مكالمة مرسلة بفعل ذبذبات كهربائية بواسطة قنـــاة الخط الهاتفي»[2].

ولكنّ «قيرو» (Guireau) يرى أنّ هذا التحليل لا يكون في أيّ لحظة معنى للمرسلة؛ لأنّ التواصل يقوم على نقل أو تحويل شكل مسجّل في ماهية

1)- المرجع نفسه، ص: 02.

2)- Dictionnaire de dédactique des lauges: R. Galisson et D.Coste librairie Hachette- 1976- P: 102-104.

أو مادّة، مثال ذلك؛ الأشكال المرئية في رسالة مكتوبة، وأمّا الخطّ الهـاتفي فهو ينقل الطاقة، والحرف لأشكال خطيّة، وعموما فإنّ التواصل لا يتأسّـس في المستوى الدلالي إلاّ في الحالة التي يكون فيها الباث والمتلقي يملكان نفـس القانون أو السنن لفكّ المراسلة[1].

وإلى جانب هذا يرى «أندري مارتيني» (André Martinit) ولسانيون آخرون أن التواصل هو إحدى وظائف اللغة، حيث أن اللغة هي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها بالدخول في علاقات مع بعضهم بعضا، وهـي تـضمن التفاهم المتبادل بينهم[2].

ويبدو أن «مارتيني» في تصوّره هذا لم يهمل الجانب الدلالي لمصطلح التواصل.

3-6 التواصل عند السيميائيين العرب:

لقد اصطنع السيميائيون العرب مصطلح «التبليغ» و«الإبلاغ» مقـابلا للمصطلح الأوروبي (Communication) وهو في تمثل الأستاذ عبد الملـك مرتاض أدقّ وأدلّ على هذا المعنى من مصطلح «التواصل» الذي قد يشيع في كتابات بعض النقاد العرب المعاصرين، ذلك أنّ المصطلح الأوروبي إنمـا ورد في أصوله على صيغة التّعذية المعنوية، على حين أنّ معادله العربي «التواصل» لم يرد في العربية لهذا المعنى بل هو محايد لا يتعدّى إلى أي معنى في غيره، وإنّما يقتصر على ما فيه من معنًى في نفسه[3].

1)- المرجع نفسه، ص: 103.

2)- المرجع نفسه، ص: 103.

3)- مقال: نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي، د.عبد الملك مرتاض، مجلة تجليات الحداثة، جامعة وهران، 1992، العدد الأول، ص: 13.

و«التبليغ» بمفهومه العام يشمل الإخبار، أو نقل أمر من أعلى إلى أدنى، أو من أعلى إلى مستوى مماثل له في الدرجة.

ولفظ «البلاغ» اسم قديم الاستعمال في اللغة العربية، وقد ذكر في القرآن الكريم وصفاً لوظيفة الأنبياء والرسل تجاه من أرسلوا إليهم من الأمم ليبلّغوهم رسالات الله.

وهذا ما يبيّنه الجدول الآتي:

اسم السورة	رقم الآية	الآية
الرعد	40	﴿وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ وعَلَيْكَ الحِسَابُ﴾.
النحل	82	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ المُبِينُ﴾.
الأنبياء	106	﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاَغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾.
الجنّ	23	﴿إِلاَّ بَلاَغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالاَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِ]هَا أَبَداً﴾.

أما «غريماس» فإنّه يرى أنّ «نظرية التبليغ» إنّما جاءت على غرار نظرية الإعلام وبتعالق معها،... ولمّا كانت نظرية التبليغ في أصلها نظرية لسانية، فإنها لم تكد تعنى إلا بالشبكة المظهرية الرابطة بين المرسل والمرسل إليه، وما بينهما، وما يعتور علاقتهما من متعارفات الدلالة الوضعية كالسياق الدال، والشفرة المستخدمة بين الطرفين[1].

1)- Sémiotique Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Grimas et courtes, communication, P :45.

بينما يطلق عبد الله الغذامي اسم «نظرية الاتصال» على تلك المـــسماة «نظرية التبليغ»، أمّا «دي سوسير» فإنّ نظريته تنهض على نزعة اجتماعية، ولذا فهو يرى أنّ «التبليغ» ضرب من الحدث الاجتماعي الملاحظ في فعـــل الكلام، وبالتالي فإنّ نظريته تقوم على وجود شخصين اثنين على الأقل (باث ومتلق) لسيران تيار الكلام[1].

ومن منظور «علم النفس» يذهب النفساني «بـــوهلر» (Boohler) إلى أن النشاط اللساني يتحدّد بثلاثة وظائف تتمثل في[2]:

1- التعبير من حيث هوباث.

2- النداء من حيث هو مبثوث له أو متلقٍّ.

3- الاستحضار بما فيه من طبيعة الإحالة على المرجع أو السياق.

ثم جاء «جاكبسون» (R.Jakobson) فأضاف إلى هذه النظرية الثلاثية، وفصل من أمرها ما كان موجزا فغدت سداسية العلاقة حسب الشكل التالي[3]:

سياق

رسالة

باث ——————— ——————— متلق

اتصال

شفرة

---

1)- المرجع نفسه، ص45.

2)- Sémiotique dictionnaire; P:45.

3)- الألسنية (علم اللغة الحديث)، د.ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص: 85.

وتقوم رسمة «دي سوسير» على الصورة نفسها تقريبا، غير أنه يركـــز على جهازي النطق والسمع من جهة والإرسال والاستقبال من جهة أخرى، بينما يركز «جاكوبسون» على السياق وضرورة الاتصال.

ويعدّ «دي سوسير» من الأوائل الذين تعرضوا إلى إشكالية التخاطـــب عند الإنسان، فقد بادر إلى تجاوز العملية التي تفترض مرســـلا ومرســـلا إليه وكلمات متبادلة بينهما[1].

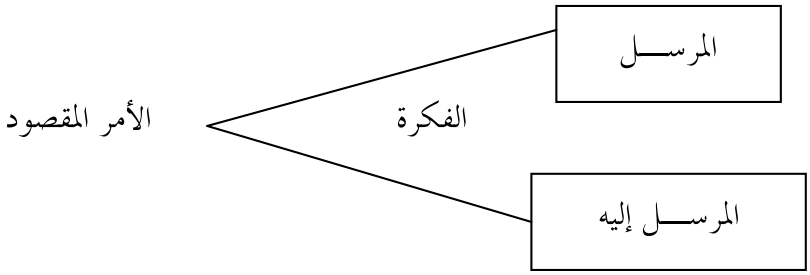

ليحدّد مخططاً عامّاً أكثر عمقا لظاهرة التواصل اللّغوي، يأخذ عدّة أبعاد ذهنية وتصورات فكرية، وقنوات فيزيائية وصوتية، ونفسيّة فيزيولوجية[2].

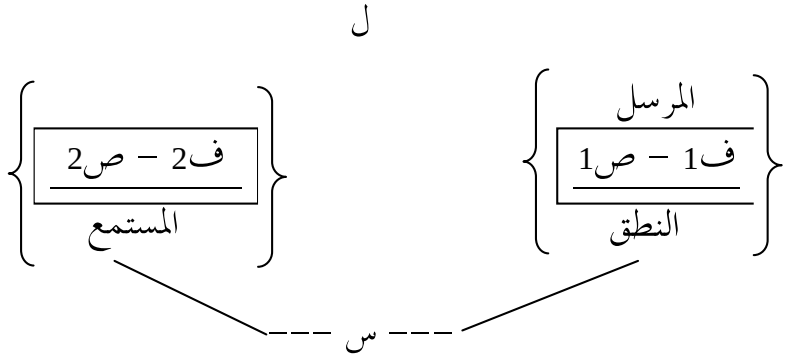

1)- مدخل إلى اللسانيات، رونالد إلوار، ترجمة: د.بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، 1980، ص: 47.

2)- مدخل إلى اللسانيات، ص: 47-48.

حيث تمثل[1]:

1- (ف1) تصوّر فكري مرفق بصورة ذهنية (ص1) للفظة التي تعبّر عن ذلك التصوّر في اللغة المشار إليها.

2- يلفظ المرسل الكلمة المرسلة بواسطة عملية النطق.

3- تتحرّك هذه الكلمة المنطوقة عبر المسافة (س) الفاصلة بين المرسل والمستمع (المرسل إليه).

4- يتلقاها المستمع (ع) أو المرسل إليه.

5- يقوم الجهاز اللغوي للمستمع بتأويل هذه اللفظة من حيث هي صورة صوتية (ص2) ملازمة بالتواضع للتصوّر الذهني (ف2) الذي تشير إليه.

6- تشير الدائرة (ل) إلى الجانب النفسي للكلمة وبالتالي؛ فإذا كان ف1=ف2 صحّ التفاهم بين الباث والمتلقي أي نجاح العملية التواصلية.

ولكن وعلى الرغم من أنّ مخطط «دي سوسير» قد حدّد وبعمق ظاهرة التواصل اللّغوي، إلاّ أن اللسانيّين يطمئنون أكثر إلى مخطّط «رومان جاكبسون» الشهير[2].

وذلك أن مخطط «دي سوسير» لا ينهض بكل عملية من عمليات التخاطب، خاصّة كان مرتبطا بالقاعدة الفيزيائية التي تساعد على تبليغ الرسالة، ونقل إشارتها التي تعني القناة فضلا عن سياق التخاطب الدال على

1)- اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي)، الأستاذ عبد الجليل مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص: 10.

2)- اللغة والتواصل، ص: 11.

المقام أو الظروف المحيطة بالإبلاغ واطراد القول مـــن الماضـــي إلى الحاضـــر فالمستقبل[1].

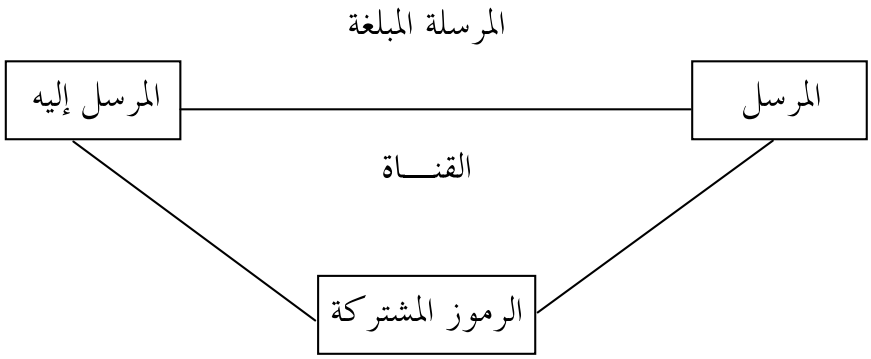

مخطط سياق التخاطب

وانطلاقا من هذا المخطط الجاكوبسوني لعلمية التواصل اللغوي تم تحديد الوظائف الستّة للاتصال على الشكل التالي[2]:

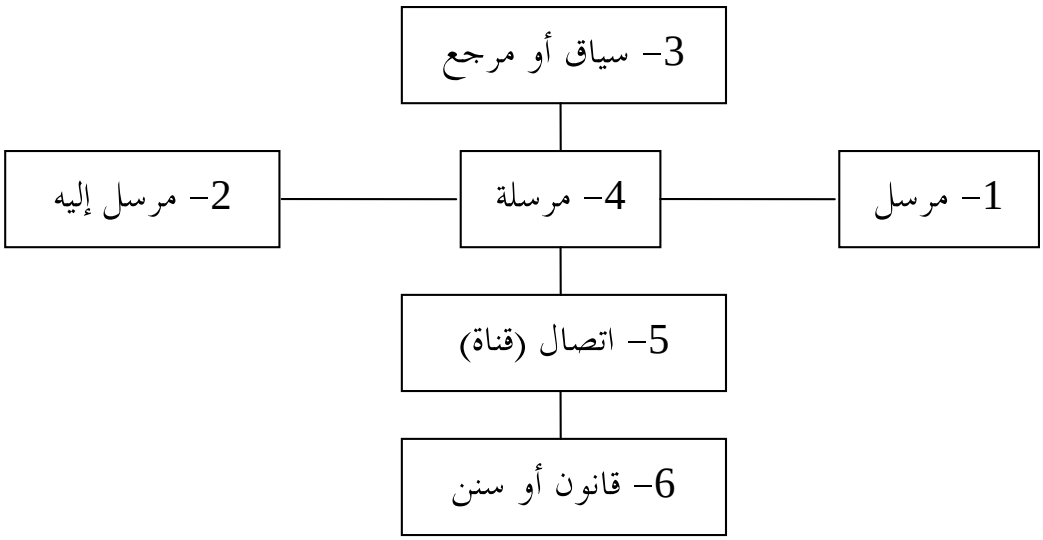

1)- مدخل إلى اللسانيات، ص: 50.

2)- Les voies du langage, P: 05.

بحيث كل عنصر من هذه العناصر الستة يقابل وظيفة أساسية:

1- المرسل ← الوظيفة التعبيرية، وتتعلق بالمتكلم ولذلك قد تسمّى انفعالية.

2- المرسل إليه ← الوظيفة الندائية، وتتعلق بما يتلقاه الشخص الذي يوجه إليه الخطاب قصدا أو عن غير قصد.

3- السياق أو المرجع ← الوظيفة المرجعية (الإخبارية).

4- المرسلة ← الوظيفة الشعرية أو الإنشائية.

5- الاتصال أو القناة ← وظيفة إقامة الاتّصال.

6- القانون أو السنن ← وظيفة تعدي اللغة أو ما وراء اللغة.

3-7 نظرية التبليغ عند «بلومفيلد» (Bloomfield):

سيناريو جاك وجيل: معروف في كتب اللسانيات الغربية أن نظرية «بلومفيلد» تمثلها هذه الرسمة[1]:

حح ——— رع ——— رض ——— حض

حيث إن:

1- حح: تمثل «الحافز الحقيقي» (Le stimulus effectif) (شعور جيل بالجوع ومشاهدتها التفاحة).

2- رع: ردّ «الفعل العملي» (Réaction active) (مجاوزة جاك السياج، وتسلقه الشجرة).

1)- مقال: نظرية التبليغ بين الحداثة والتراث الغربي، د.عبد الملك مرتاض، ص: 15.

3- رض: رد «الفعل الاستيعاضي» (Reaction substitive) (جيل تنـــتج ملفوظا، الموجات الصوتية تنفرز من حنجرتها وشفتيها).

4- حض: الحافز الاستيعاضي (Le stimulus substitif) (ملفـــوظ جيـــل يسمعه جاك).

ويمكن تمثيل هذه الوضعية باختصار على الشكل التالي[1]:

- الوضع السابق لفعل الكلام.
- الكلام.
- الوضع اللاّحق لفعل الكلام.

وبعد هذا نخلص إلى أنّه إذا كان «بلومفيلد» يتّفق مع «دي سوسير» في تأسيسهما النظرية التواصلية فإن بلومفيلد يجاوز دي سوسير في كونه ينحـــو بنظريته منحى نفسانيا بإشارته إلى ذلك التأثير الذي يحدثه فعـــل الكـــلام في النفس البشرية.

ومعلوم لدى الدارسين أن نظرية «بلومفيلد» قامت على الصمت، لأنّ لا «جيل» ولا «جاك» يحادث أحدهما الآخر حديث الكلام؛ وبالتالي فـــإن نظرية «بلومفيلد» هي نظرية سيميولوجية خالصة، بينما تكتسي نظرية «دي سوسير» طابعا لسانيا محضاً، لأنها تتعلق بالكلام لا بالإشارات أو الهمهمات أو ما شابه ذلك.

وغير بعيد عن النظرية التواصلية «لدي سوسير» نجد أنّ «ابن خلدون» يقترب من هذه المسألة حين يتحدث عن نظرية التبليغ اللسانية، وأنها تقـــوم

1)- مقال: نظرية التبليغ بين الحداثة والتراث العربي، ص: 17.

على «مراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال»[1]، وأن المتكلم (الباث أو المرسل) إذا جاء ذلك «بلغ (...) حينئذ الغاية من إفادة مقـــصوده للسامع»[2].

فكأنّ هذه النظرية الخلدونية تبدوا أشمل من النظرية السوسيرية، لأنها لا تلتمس التبليغ في صورة ميكانيكية فجّة، فتكون في كثير من الأحيان قاصرة عاجزة، وإنما تلتمسه داخل شبكة توصيلية، وعبر قنوات أدواتها؛ العلم باللّغة، والقدرة على التبليغ، واكتساب الملكة على هذا التبليغ[3].

وإذا ما حاولنا تفسير كلام ابن خلدون عن النظرية التبليغية ومقارنته مع ما ورد عن دي سوسير وجاكبسون، فإننا سنجد حتما مايلي:

1- «المتكلم» (لدى ابن خلدون) وهو الطرف المرموز لـــه في نظريـــة دي سوسير بـــ(أ) وهو إذن الطرف المرسل للرسالة.

2- «السامع» (لدى ابن خلدون) هو الطرف المرموز إليـــه في نظريـــة دي سوسير بـــ(ب) وهو إذن الطرف المتلقي للرسالة.

3- «الكلام» في نظرية (ابن خلدون) هو العنصر الذي يقابل أو يمثل الرسالة في نظرية (جاكوبسون) أي الغرض من وراء الكلام الملقى إلى السامع.

4- «مقتضى الحال» في نظرية الخلدونية هو العنصر الذي يعادل في نظريـــة (جاكبسون) «السياق» وإن كان البلاغيون العرب ربطوا في كثير مـــن

1)- المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، القاهرة، د.ط، د.ت، ج38/1.
2)- المقدّمة، عبد الرحمن بن خلدون، الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 1071.
3)- مقال: نظرية التبليغ بين الحداثة والتراث العربي، ص: 19.

أطوار تعاملهم مع اللّغة والخطاب؛ الدلالة بالسياق[1].

5- إنّ ما يسميه «جاكبسون» «الاتصال» (Contact) ليس هو في الحقيقة إلاّ ما ورد في تحديد العلاقة بين المتكلم والسامع في النظرية الخلدونية وذلك حين يتمثل هذه المسألة في بلوغ «المتكلم حينئذ الغاية من إفادة السامع»[2].

6- «مقصوده» وهو العنصر الذي يعادل إلقاء الكلام أي إلقاء الرسالة.

ومن غير الممكن حصر كل الآراء والنظريات التي تعرضت للخطاب والتواصل بالدراسة والتحليل، ومجمل القول أنّ الحياة البشرية برمّتها تقوم على التخاطب والاتصال أي على العلاقات الإنسانية مما في ذلك العلاقة الدينية والعاطفية والفكرية والسياسية والتجارية والعائلية والمهنية،...

وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة الاتصال لم تظهر إلاّ بعد ظهور العالم «شانون» (Shannon) سنة 1949 بمساعدة العالم «ويفر» (Weever) على أنّ القسم الأكبر لهذه الدراسة الهامّة الخاصة بهذا المجال، جاءت من خارج علم النفس؛ أي من جهود المهندسين والرياضيين، خاصّة بعد نشر عمل «كلود شانون» الموسوم بعنوان: «النظرية الرياضية التبليغية» (La théorique mathématique de la communication)[3].

ولقد أحدثت هذه النظرية ثورة لفتت انتباه جلّ المهتمين بحقول الإعلام، فتغلغل بعد ذلك الاتصال في علم النفس عن طريق علم النفس الاجتماعي، واللسانيات النفسية، وعن نظرية الشخصيّة.

---

1)- مقال: نظرية التبليغ بين الحداثة والتراث العربي، ص: 20.

2)- المقدمة، ابن خلدون، ص: 1071.

3)- مقال: نظرية التبليغ بين الحداثة والتراث العربي، ص: 21.

ونتيجة لكل ما سبق ذكره نخلـــص إلى أن الاتـــصال (Le contact) ظاهرة بشرية اجتماعية إذ لا حياة بدون اتصال؛ ذلك أن الاتصال واقعة حية في السلوك البشري، الهدف منه التمكن من تحقيـــق العلاقـــات الإنـــسانية والاجتماعية مع طرف آخر أو مع جماعة من الناس.

ومجمل القول أن هدف كل خطاب إقناعي هو التواصل بين البشر سواء في التخاطبات اليومية التي تعتمد في تواصلها على الحوار والمحاورة أو التحاور، أو في المجالات العلمية الأخرى، هذا –طبعا– دون إغفال اللغة بعدّها خاصيّة بشرية هامّة.